



مات رستم غزالى! انتهت أسطورة الرئيس المقال لفرع الأمن السياسي في النظام السوري. هي صدفة أو إرادة ما، شاءت أن تأتي نهاية هذا الرجل في 24 أبريل/نيسان قبل ساعات من الذكرى العاشرة لخروج الجيش السوري من لبنان (في 26 أبريل/نيسان 2005).

ينعي النظام السوري والمقربون منه غزالى بصفته ضابطاً مقداماً، عانى في الفترة الأخيرة من "مرض نادر"، بحسب ما نقلت وسائل إعلام محسوبة على البعث السوري. طبعاً هو "المرض النادر" نفسه، الذي يصيب أعضاء الشبكات الأمنية داخل النظام السوري. هؤلاء يقضون إما انتحاراً أو بعبارة أخرى "منتحرين" (غازي كنعان أكتوبر/تشرين الأول 2005)، أو بحوادث أمنية كبرى ومفاجئة (تفجير مبني الأمن القومي يوليو/تموز 2012). إلا أنّ المرض النادر الذي أصاب غزالى جاء بعد الكثير من المعارك الداخلية، السياسية والشخصية، التي خاضها مع رجالات النظام وحلفائهم وأبرزهم حزب الله. فالمُلّت به حالة عصبية استوجبت مكوثه في المستشفى لأكثر من شهر، فاقداً وعيه يتنفس من فجوة فتحها له الأطباء في عنقه، بحسب الرواية التي يريد النظام تعميمها، في حين أنّ رواية طبية أخرى تقول العكس تماماً، وتشير فصولها إلى أنّ غزالى مات مسموماً بعد حقنه بدواء مدمّر للخلايا العصبية. وفي هذا الإطار، تشير مصادر طبية في بيروت لـ"العربي الجديد" إلى أنّ الأطباء اللبنانيينخمسة، الذين عاينوا غزالى في مستشفى في دمشق قبل شهر، كتبوا تقريراً واضحاً عن "وجوب نقله إلى خارج البلاد لتقى معالجته"، مؤكدين إمكانية إنقاذه طبياً في حال تلقيه العلاج اللازم. إلا أنّ الرد الرسمي السوري جاء إليهم وفق الآتي: "لا يمكن نقل رستم غزالى إلى بيروت لأسباب أمنية، أما سفره إلى بلد آخر فيهدّد سلامته أيضاً"، لذلك ترك غزالى ليموت على فراش المشفى في دمشق تحت عيون النظام وطاقمه الطبي.

في هذه الحالة قد تبدو صيغة "المؤامرة" قابلة للتصديق، لأنّ النظام أخذ القرار بتصفيته غزالى وفعل، تماماً كما هي سيرة العصابات في كل العالم. وتشير المعارك، التي خاضها غزالى في الأشهر الأخيرة من نشاطه الأمني والرسمي في سوريا،

على أنه بات خارجاً عن سياسات النظام وعبئاً عليه.

غزالٍ - حزب الله:

جسّد غزالٍ في الأشهر الأخيرة محوراً في الداخل السوري يرفض تحكم حزب الله في مفاصل النظام وقراراته الأمنية والسياسية. عبر غزالٍ عن رأيه في أكثر من مناسبة خلال المعارك، التي كان يقودها حزب الله نيابة عن الجيش السوري. ليس من السهل على ضابط كان الحاكم الفعلي للبنان وأحزابه وقواته السياسية، أن يكتفي بالنظر إلى التراجع الحاصل في موقعه وموقع البعث. في يوم تم تعين غزالٍ قائداً لجهاز الأمن والاستطلاع في القوة السورية العاملة في لبنان، عام 2002، فاض استعماله للقوة والسيطرة في تعامله مع اللبنانيين. لم يرحم أي طرف من هذه السلطة، بمن فيهم حزب الله الذي تعرف قياداته تمام المعرفة أنَّ قياديين فيه وأنصاره تعرضوا للقمع والضرب والتوقيف في معاقل الأجهزة التي كان يديرها غزالٍ.

وبالأشهر، مع اقتراب موعد المعركة في جنوب سوريا، ثار غزالٍ على سطوة حزب الله وسيطرته على القرار الأمني لهذه المعركة. فحاول تشكيل فصيل عسكري خاص به وقام بزيارة قريته قرفا (الملاصقة للشيخ مسكن في محافظة درعا، جنوب سوريا)، أكثر من مرة وظهر في الفيديوهات التي سُرِّبت وهو يخطب بالمقاتلين والعسكريين محاولاً رفع معنوياتهم. ووصل حدَّ المواجهة بين غزالٍ وحزب الله إلى وقوع أكثر من اشتباك بين الطرفين، تخللها استخدام قذائف الهاون، بحسب ما يؤكد "العربي الجديد" مطلعون على أحوال الجنوب السوري. انتهى العشق بين رستم غزالٍ والحزب، وانتفض الضابط السوري على صديقه، الأمين العام في حزب الله، حسن نصر الله، الذي أهداه "بنديمة المقاومة" عام 2005، قبل أيام من خروج الجيش السوري من لبنان. أمسك غزالٍ بهذه البنديمة ووجهها إلى مقاتلي الحزب الذين ردوا بالمثل، ليتأكد لاحقاً أنَّ لا صوت يعلو فوق صوت حزب الله لدى النظام السوري. فأُقيل غزالٍ وكسرت رتبته بعد الإشكال الذي جمعه مع رئيس شعبة الأمن العسكري في النظام السوري، اللواء رفيق شحادة.

في سياق آخر، بينما تستكمل المحكمة الدولية الخاصة بلبنان (محاكمة المتهمين باغتيال الرئيس رفيق الحريري)، أعمالها من لاهي، بربأ خيراً اسم رستم غزالٍ في إفادات الشهود اللبنانيين. تحدث هؤلاء عن الأموال، التي كان يتلقاها الأخير من الحريري بوتيرة شهرية، بين 60 ألف دولار و300 ألف دولار. فيأتي موته أيضاً لإنهاء أي تقدم ممكناً قد يحصل في هذه المحكمة على خط تحميته مسؤولية جريمة 14 فبراير/شباط 2005، إضافةً إلى أنه واحد من الضباط السوريين، الذين تم التحقيق معهم من قبل المحققين الدوليين. تحدث هؤلاء أيضاً عن سطوة غزالٍ على الدولة اللبنانية ومؤسساتها الدستورية، وعلى الانتخابات النيابية وقوانينها، وعلى كل شيء يتعلق بالحياة في هذا البلد. يمكن إضافة الكثير من المحطات الرئيسية التي كرست ظلم غزالٍ، وقبله اللواء غازي كعنان على لبنان، من من نشرات الأخبار على التلفزيونات المحلية إلى إغفال محطة إم تي في التلفزيونية، مروراً بالتضييق على كل المؤسسات وشتي أنواع الضغوط. لكن اللافت أنَّ غزالٍ مارس هذه المهام نفسها وأكثر على الشعب السوري، إذ تم تعينه رئيساً لفرع الأمن السياسي في النظام السوري عام 2012، مع انطلاق شرارة الثورة في سوريا والمطالبة بإسقاط النظام. فتشهد على سياساته، شوارع درعا وحماء وإدلب، وهي أولى المناطق التي انتفضت على حكم الأسد مطالبة بالحرية. تحول الرجل من "سد قمع" في بيروت إلى "غزال قتل" في سوريا.

يضاف إلى كل هذه العوامل، التي عجلت باقتراب موعد نهاية القاتل، اتهامه بتسهيل عمل شبكات تهريب السلاح والمؤن والنفط التي تمدَّ الجيش السوري الحرَّ في الجنوبي السوري. فمن يمتهن الاتجار بالأرواح يسهل عليه التجارة بأصناف أخرى. مات رستم غزالٍ وأخذ معه كل تفاصيل حكم لبنان واغتيال الحريري وغيره من القادة اللبنانيين، بالإضافة إلى كافة الجرائم الأخرى، التي تم ارتكابها بحق الشعبين السوري واللبناني. مات الرجل بلا قصاص ولا عقوبة، وأنفذ من هم أعلى منه رتبة في سُلُّم النظام السوري وحلفائه. مات غزالٍ، من التالى لطمس كل هذه الحقائق؟

العربي الجديد

المصادر: